

فلسفة انجلز حسب مولفي مُجّد

بومحراث بلخير

أستاذ محاضر قسم علم الاجتماع جامعة مستغانم

belkheirsocio@yahoo.fr

الملخص:

يهدف البحث الحالي التحدث عن الفيلسوف الجزائري مُجّد مولفي الذي كرس حياته لخدمة البحث العلمي ولتكوين الطلبة في مجال الفلسفة، اشتغل بالخصوص على الفلسفة الغربية، له كتاب هام موسوم بـ "انجلز: فلسفة وعلوم". حيث يبرز من خلال هذا الكتاب الاستقلالية الفكرية التي يتمتع بها انجلز أمام ماركس.

يعتبر الفيلسوف مولفي الفلسفة كملاذ آمن من خلالها يكتب ويقرأ لكشف المعيش اليومي، الذي يوحي لنا بمجموعة من القيم التي نحن بحاجة إليها، من تحاور، وتواصل، وعيش مشترك. فقد أوجد الكثير من المقالات التي تصب في هذا أغلبها باللغة الفرنسية. كما أنه اهتم بالعديد من المواضيع الفلسفية منها: "حول هيغل والنفي"، "التوسير قارئاً لمكيافيل"، "الفلسفة والتاريخ عند فوكو".

الكلمات المفتاحية: الفلسفة؛ انجلز، مولفي مُجّد.

يسعدنا في هذا المقام أن نتحدث على فيلسوف جزائري، كرس حياته لخدمة البحث العلمي ولتكوين الطلبة في مجال الفلسفة، اشتغل بالخصوص على الفلسفة الغربية، إنه الفيلسوف مُجد مولفي، هو أستاذ بجامعة وهران 2، ولد سنة 1951 بعين تموشنت. حصل على ليسانس في علم الاجتماع بجامعة وهران، ودرجة الثانية في الفلسفة بجامعة باريس 10. تحصل على دكتوراه درجة الثالثة من جامعة باريس 10 بعنوان التاريخ والخصوصية، تحقيق حول مفهوم التوجه لا الرأسمالي " سنة 1981⁽¹⁾. تحصل أيضا ومن نفس الجامعة على دكتوراه دولة بعنوان "انجلز ما بعد الرأسمالية : فلسفة، علم، إشترابية"⁽²⁾ سنة 1990. له كتاب هام موسوم ب "انجلز : فلسفة وعلوم"⁽³⁾ الصادر سنة 2004. حيث يبرز من خلال هذا الكتاب الاستقلالية الفكرية التي يتمتع بها انجلز أمام ماركس. يشغل الآن عضوا بمخبر : الأنساق البنيات، النماذج الممارسات. جامعة وهران 02.

الفيلسوف مولفي، يعتبر الفلسفة كملاذ آمن من خلالها يكتب ويقرأ لكشف المعيش اليومي، الذي يوحى لنا بمجموعة من القيم التي نحن بحاجة إليها، من تحاور، وتواصل، وعيش مشترك. فقد أوجد الكثير من المقالات التي تصب في هذا أغلبها باللغة الفرنسية. كما أنه اهتم بالعديد من المواضيع الفلسفية منها على سبيل التشبيه لا الحصر:

"حول هيغل والنفي"⁽⁴⁾

"التوسير قارئا لمكيافيل"⁽⁵⁾

"الفلسفة والتاريخ عند فوكو"⁽⁶⁾

يحرص الفيلسوف مولفي على إعطاء الأولوية للعمل الجماعي، خاصة في البحث العلمي، لأنه هو الصمام الأمام لإعطاء نتائج بحث ملائمة وريضة، وأحيل في هذا الصدد إلى مساهمه الجادة في تأسيس مخبر البحث: تاريخ الفلسفة، جامعة وهران سابقا، حيث كان مديرا له. وعضو مشارك في مركز البحث: فلسفة سياسية، بالمركز الوطني للبحث العلمي، باريس / ليون. نلاحظ أيضا عند الحديث على الفيلسوف مولفي محمد، أنه توجد روابط متينة بينه وبين الفيلسوف جورج لاييكا، حيث اهتم بفلسفته بعد ذهابه من الجزائر، فقد تعاون معه في إيجاد قاموس، الذي يحمل عنوانا "قاموس النقدي للماركسية"،⁽⁷⁾ حيث قام بإعداد العديد من المواد الخاصة بالقاموس. من خلال هذا الإنتاج الفكري الفلسفي العارف بما أنتجه الغرب، سنحاول فقط أن نقدم قراءة تعريفية لهذا الفيلسوف ولكتابه "انجلز: فلسفة، علوم" الذي نراه كتابا مهما، ووسيلة ملموسة لفهم الأطر الفكرية والمرجعيات الفلسفية، التي يستند عليها في تحليلاته وتأملاته التي تمتاز بالعمق والانفتاح، والبعيدة عن كل دوغمائية انغلاقية، التي بالكاد تسجن الفكر وتؤرقه. فكتاب أنجلز نعتبره الشاهد، والذاكرة الوفية، والميزان العادل الذي رجح كفة فلسفة انجلز، وأنصفها بأنها فلسفة مستقلة بذاتها بالرغم من التقاطعات و التجادبات، التي نجدها تشترك مع فلسفة ماركس. فهو بهذا يكشف لنا على خصوصية فلسفة انجلز انطلاقا من مسألة التحول الفلسفي

Le devenir de la philosophie

فمعظم المشتغلين على انجلز من مختصين ومن بينهم مولفي، يجدون فيه المرجع الهام والصارم في فهم وتفسير رهان التحول الفلسفي، حيث يكشف لنا مولفي في كتابه على منهجية انجلز الجديدة، التي اخترقت فكرة التحول الفلسفي التي تستحق منا الوقوف عليه لفهمه وضبطه .

فكتاب مُجدِّ مولفي له طموح يسعى لبلوغه، وله إجابة على طلب وحيرة وشك فلسفي ينتاب كل من يشتغل على هذه الحقول الفكرية والفلسفية، بعيد كل البعد عن ترويج لأفكار مسبقة، أو الولاء لإيديولوجيات متصارعة التي تغيب علينا مسألة الفهم والإدراك لحقيقة الشيء المراد دراسته " يدرك هذا الكتاب رسم انجلز بما هو مؤسس لذاته الشخصي، بعيدا عن تقديس أو تعصب لأنجلز، الذي يحيلنا بالكاد إلى إسناد الفساد لصديق ماركس" (8).

فهذه الإحالة تبين لنا الموقف الصارم اتجاه الحياد، والموضوعية، اثناء البحث في هذه المواضيع ، المعقدة والمتشعبة التي تحتاج إلى تدبر وتأمل وطول النفس للإلمام بالتحليل الفلسفي دون التفريط بالصرامة العلمي والمنهجية.

فلهذه الدواعي سنحاول أن نوضح المعالم الفلسفية والطرائق المنهجية التي نجدها في طرح الفيلسوف مولفي ، والتي سنركز من خلالها على فكرتين: الفكرة الأولى: أصالة واستقلالية الفلسفية لأنجلز على ماركس.

الفكرة الثانية: النقد الصارم لأنجلز لدورينغ Dühring والذي خصص له كتاب ب AntiDühring، كما نجد في كتاب مولفي فصل خاص ب دورينغ

Dühring المسمى « Dühring éponyme » .

نجد في مؤلف مولفي "الجلز: فلسفة، علوم"، الذي يحتوي على اثني عشرة فصلا، كل فصل يجربنا على تفاصيل مهمة ودقيقة، على كل ما جرى في الساحة الفكرية والفلسفية الغربية، وهذا ما يدل على أننا أمام فكر عميق ورزين، استطاع أن يحيط بهذه المسائل التاريخية والفلسفية المهمة لبلوغ الحيط الرشيد، الذي يمكننا من تتبع حقائق الأمور بتفهم وتبصر، بعيد عن اللغة التكرارية السكولاستكية، التي تؤاد التأمل والفكر.

عندما نتبع سيرورة البحث التاريخي للفلسفة، يحيلنا الفيلسوف مولفي إلى ملاحظة هامة مفادها، وجود اتصال بين الفكر الفلسفي وأسلافه، وهذا ما يظهر في أمثلة طبعت تاريخ الفلسفة. دفاع أفلاطون على سقراط وعلى مشروع هذا الأخير، وحتى هذه الثنائية بين الشيخ والمريد نجدها تتجدد مع لوك وليبينز والذي جعلتهما أصدقاء. فمسألة التواصل الفلسفي بين السلف والخلف تظهر أنها الحجز الزاوية، لكشف أصالة الفكر وروح الإبداع، التي اتصف بها الجلز. وبالتالي نحاول أن نعيد هذه المسألة بين الجلز وماركس ودرجة التأثير الذي نجده بينهما؟ من جهة، ومن جهة ثانية فهم درجة التأثير الذي أحدثته دورينغ على فكر وفلسفة الجلز؟

للإجابة على هذه الأسئلة، في ما يخص علاقة أنجلز بماركس، سنحرص على أهمية فكرة أنجلز كمفكر مستقل، وعندما نقول مفكر مستقل، ليس معناه أنه محايد أو معاكس لماركس، ولكن ضمن مقارنة فريدة ومميزة، حاول أنجلز أن يقدم مساهمة فلسفية مؤسسة وأصيلة، في إيجاد تأسيس نظري مشترك بينه وبين ماركس. «ينبغي أن نأخذ أيضا بالفعل، منذ بداية الالتقاء سنة 1844،

ظهرت لماركس وانجلز، الشرط الأمر لإعطاء مفاهيمهم جديدة على قاعدة علمية، بدأت مساهمتهم منذ هذا التاريخ مع العائلة المقدسة، ولم تكن ممكنة لمرة واحدة لمفاهيمهم الموضحة». ⁽⁹⁾ هذه المساهمة أصيلة لأنجلز هو موضوع نظري، كامل ومستقل بذاته، ويحمل من الأهمية لما يطلق عليه بالماركسية، أو المادية التاريخية، أو فلسفة ماركس.

فإذا ما حاولنا شرح ووصف الأطر الفكرية والفلسفية السائدة في تلك الفترة، نستطيع أن نقر أنه بعد القرن 19 م لمسنا وجود هيمنة التيار المثالي "طردت المثالية من آخر ملاذ لها، مفهوم التاريخ" ⁽¹⁰⁾. لهذا وبدون أدنى شك، أهل انجلز الرابط بين الاشتراكية ومفهوم التاريخ. فبراديغمات هذه التأهيل كانت إذن، من جهة، التكامل بين الاشتراكية مع مفهوم التاريخ بدون تدخل المادية، ومن جهة أخرى، مفهوم التاريخ دون تدخل الجدلية. "هكذا إذن، إذا كانت أشكلة الجدلية، عن طريق نشرها في العلوم الطبيعية، مسألة التكامل بين علمية اشتراكية من جهة، وجدلية العلوم الطبيعية من جهة أخرى، نستطيع أن نقر حول هذا الرابط، أنه سيتكون ضد دورينغ l'ANTI-DUHRING". ⁽¹¹⁾

فكتابات انجلز وبالأخص - ضد دورينغ- تحمل في طياتها الطابع المحايثة مع الواقع، ونبد العوائق والإكراهات المعاشة، كسبب هام ورئيسي يقف أمام روح ترك التحول l'esprit du laisser-devenir. نستعير ببعض الأفكار المطروحة وخاصة، عندما نتطرق إلى ضد دورينغ كشكل مسبق، الذي يحرص على ترك التحول لأول مرة، حيث به يحرر رأسمال، ويقوم بتغيير

ناضج في التعليق على ترك التحول الفلسفي. نستطيع إذن تبين موقف انجلز "بالنسبة لانجلز، فهو لا يعبر على حقيقة الشيخ، ولا يندمج في فكر محاوره ضمن عالمه المفاهيمي الخاص بالنسبة له، العمل بتطور" ⁽¹²⁾. هذا التصريح يسمح لنا بالكشف على نظرة انجلز، التي تبدو أنها أكثر وضوحا بالنسبة لعلاقته مع ماركس، والتي تبدو أنها علاقة مستقلة مع صديقه ماركس. سنركز في هذا الإطار على الفكرة الثانية، والتي سيكون فحواها علاقة انجلز بدورينغ. لعبا ماركس وانجلز دورا مهما في أوساط العمال والنقابات، حيث أنهم أبلوا البلاء الحسن في الدفاع على حقوق العمال، ووضع النقابات، وبهذا تركوا أثرا حسنا مازال التاريخ يشيد به لحد الآن. فحاول دورينغ ان يستثمر في حقل العمال والطبقة، على غرار ماركس وانجلز "فكانت الامور أن تبقى على حالها إذا دورينغ لم يتمتع بالتعاطف في أوساط الاشتراكيين الديمقراطيين، وخاصة إذا لم يطبع في سنة 1878، دروس في الفلسفة والتاريخ النقدي للإقتصاد السياسي والإشتراكي، كتابيين ينقدان بقوة نظرة ماركس" ⁽¹³⁾. بالنسبة لماركس وانجلز، حاولا أن يحيب على دورينغ بكتاب ضد دورينغ، حيث أكد انجلز على الجدلية الهيجلية كحجر زاوية لبلوغ الصرامة العلمية. هذا الجدل المفارقاتي بين انجلز ماركس ودورينغ أثر بشكل كثير على التيار الإشتراكي الديمقراطي.

نستطيع إذن تأكيد أن أنجلز أوضح وعلق وأعاد طبع ما كتبه ماركس، لكن علينا أن نأخذ في الحسبان أن انجلز كانت دائم يتحمل هذه المهام ويكون وفيًا لنوايا ماركس. فقد أخذ انجلز على عاتقه مهام التفكير في مسألة مصير

الفلسفة، وكيف تصبح ، هذه الأخيرة التي تؤدي إلى عرض وقراءة التاريخ الفلسفة ومقاربة العلوم في زمانه. ختاماً نتمنى أن وفقنا في هذا التقديم وقد فينا في التعريف بالفيلسوف محمد مولفي، وبالتالي نتمنى أن نكون أوفياء في عرض أهم الأفكار التي نراها مناسبة لما طرحه الفيلسوف مولفي.

الهوامش:

1. « Histoire et spécificité .Enquête sur le concepts de voie non capitaliste » .
2. « Engels après le Capital :philosophie , science et socialisme » .
3. Engels : Philosophie et sciences , l'harmattan , paris , 2004.
4. sur Hegel et la négativité ».
5. « Althusser, lecteur de machiavel »
6. « philosophie et histoire chez Foucault »
7. dictionnaire critique du Marxisme
8. « car ce livre entend retracer d'Engels dans ce qu'elle instaure de proprement personnel. Hors de toute Hagiographie et de tout englesianisme, oriente vers les seules perversions imputables au compagnon de Marx »
9. « Il faut prendre également acte que c'est, de leur première rencontre , en 1844, qu' apparut, à MARX et ENGELS, la condition impérative de donner à leurs conceptions nouvelles une base scientifique. Leur contribution commença des cette date avec La Saint Famille, et ne fut possible une fois leurs conceptions clarifiées » - MOULFI Mohamed, ENGELES : PHILOSIPHE ET SCIENCE , L'Harmattan, 2004, P53p54
10. « Cette idéalisme était chassé de son dernier refuge, la conception de l'histoire » ibid, p93.
11. « ainsi donc , si la dialectique problématise ,à travers son déploiement dans les sciences de la nature , la question de la compatibilité entre la scientificité du socialisme d'une part, et la dialectique des sciences de la nature de l'autre, on peut avancer que c'est autour de cette articulation que va se construire l'ANTI-DUHRING » . ibid, p96.
12. « Pour Engles, il ne lui fallait ni exprimer la vérité d'un maitre , ni intégrer la pensée de son interlocuteur au sein de son propre univers conceptuel dans son cote. work in progress » ibid, p08.
13. « Les choses auraient pu en rester là si Dühring n'avait pas joui d'une certaine sympathie dans les milieux social démocrates, et surtout s'il n'avait pas publié, en 1878,Cours de philosophie et Histoire critique de l'économie politique et du socialisme, deux ouvrage fort critiques à l'égard de Marx » ibid,p73.